الموجة الإسلامية الأخرى: الاستشراق والدراسات الإسلامية المعاصرة *

محمد أمين عبدالله

جامعة سونان كاليجاكا الإسلامية الحكومية يوجياكرتا إندونيسيا

الملخص

حاول هذا البحث وضع خريطة لتطور الفكر الإسلامي منذ نشأته حتى عصرنا الراهن. ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة تبارات أو ثلاث موجات فكرية مرت بها البحوث الإسلامية. الموجة الأولى هي التى اضطلع فيها المسلمون أو الطرف الداخلي فى الإسلام. يرى الكاتب أن هذه الموجة ليست لها الأسباب المتوفرة إلى البحث فى الإسلام بحثا علميا. وأما الموجة الثانية فهى البحث فى الإسلام الذى قام به الطرف الخارجي، أو هم الذين يسمون بالمستشرقين. وتعتبر هذه الموجة وسائل كافية للبحث فى الإسلام بحثا علميا. وفى هذه الموجة وجهات نظر مختلفة فى البحث فى الإسلام. والموجة الأخيرة أو الثالثة هي الموجة التى يتناول فيها بالبحث فى الإسلام غالبا الطرف الداخلى، إلا أنه علماء مستنيرون ومتزودون بالعلوم المعاصرة، خاصة العلوم الإنسانية.

أ. نقطة الالتقاء والاختلاف بين العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية

* مقدمة إلى المؤتمر الدولي في "المستشرقون والدراسات الإسلامية والعربية" كلية دار العلوم جامعة المنيا جمهورية مصر العربية.

جبل الإنسان الرغبة في معرفة الأشياء، إلا أن هذه الرغبة لن تشبع بصورة متكاملة. والرغبة في معرفة الحقائق وديناميكا العالم وعالم الحيوان وعالم النبات وعالم الاجتماع والدين والفكر وغيرها قد بدأت منذ قديم، مسايرة مع درجة تطور وتقدم الثقافة الإنسانية. وهذه الرغبة تظهر في صورة حب القراءة والتتبع المستمر والبحث العميق. ثم إن هذا الاستنتاج أو الاستطلاع يدوّن، ويرتب وينظم، ويحسن ويتطور من حين إلى أخر بصورة مستمرة حسب درجة تطور وتوفر مناهج ووسائل الحصول على المعلومات، وكذلك معامل، ووسائل التصور التحليلي التي تمتلكها تلك المعامل. فحب معرفة الأشياء والتنظيم المعرفي هو ما يسمي بالمعرفة.[١]

والاستشراق هو العلم الذي يدرس الثقافات والعادات والاعتقادات، والأديان فى المجتمع الأخر –وهو هنا المجتمع الشرقي- ويبحث فيها ويتتبع عنها ويناقشها من وجهة نظر علمية، وحسب تجارب الغربيين[٢]. وهذه الحركة بدأت من بلادهم (أوربا) ثم تغلغلت في بلاد آسيا وأفريقيا، للتعرف على الثقافات المحلية، ثم استتبع ذلك العلاقة التجارية والتواصل مع السكان المحليين، والسلطة المحلية من خلال علاقة دبلوماسية (سلمية) أو سلاحية حربية. وفي الوقت نفسه ظهرت الرغبة الشديدة في تعلم اللغات المحلية. واعتبر تعلم اللغات المحلية وسيلة مهمة لدراسة الاعتقادات والدين ونظرة الحياة والعادات والمؤلفات الأدبية والنظام السياسي ودراسة مناهج المعرفة من جميع الجهات. وهذا الدمج بين فقه اللغة وبين علم الاحناس (الثقافة) أسهم كثيرا في نشأة الإستشراق وتطوره.

والذي يجب ملاحظته والإشارة إليه أن الإستشراق لا تنحصر دراساته على المناطق العربية والإسلام فحسب، بل امتدت إلى الهند والهندوسية واليابان وتاو، والصين وكونفوشو، ومناطق أفريقيا وعاداتها، وهكذا. والهدف من هذه المقالة هو إشارة

[١] كان "العلم والمعرفة" يعتبران شيئين طيبين، صالحين ونافعين، ثم بعد ظهور كتاب ميشيل فوكو: أركيولوجيا المعرفة والخطاب عن اللغة، ١٩٧٢. وقد استخدم إدوارد سعيد أساس نظرية فوكو للكتابة عن الاستشراق ١٩٧٩ م، فصار العلم والمعرفة مشكلة إذ أنهما ترتبط بالسلطة.

[٢] والكتاب المقرر من وجهة النظر اللاغربي الذي ينقد الإستشراق هو المستشرق إددورد و. سعيد، نيو يورك، Book, ١٩٧٩ Vintage ، وفي المتأخر ظهرت دراسة "الغرب" من احد أو من الشرقيين كرد فعل، انظر: مقدمة في الاستغراب (١٩٩٩) لحسن حنفي. وقد ترجم إلى اللغة الإندونيسية مطبعة فرامادينابعنوان: (٢٠٠٠)*Oksidentalisme: Sikap Kita Terhadap Tradisi Barat*

أو لمحة سريعة عن مناهج الغربيين في دراسة الشرق، بالأخص دراسة الإسلام والعرب.

وعندما انصبت هذه الدراسة حول الإسلام – فإن مصطلح الدراسات الإسلامية بدلا من الاستشراق – في رأي الباحث –أكثر ليونة وقبولا للفهم، وللحد من الجدال. بل إن مصطلح دراسات الشرق الأوسط أو دراسة المناطق التي استعملها علماء الإنسانية أكثر استساغة للسماع، ويخفف من الأثار السلبية الأيديولوجية التي يتضمنها مصطلاح الاستشراق، وخاصة بعد ظهور النقد المشهور من قبل إدوارد سعيد[٣].

وكثرت عدد المؤلفات التي ظهرت كنتيجة من الأبحاث والتأليفات الأكاديمية والعلمية الغربية عن الإسلام والثقافة العربية. ففي اندونيسيا بعض هذه المؤلفات معروفة في كلية الآداب والحضارة، وخاصة التي تتضمن دراسات الشرق الأوسط، وكذلك في الجامعات والمعاهد مثل: جامعة غاجة مادا، وجامعة إندونيسيا. كما أن مؤلفات المستشرقين معروفة أيضا في معاهد إسلامية حكومية، والجامعة الإسلامية الحكومية، حين يتناول الأساتذة والطلاب المواضيع التي تتعلق بتاريخ الحضارة الإسلامية، وأصول الدين، والفلسفة الإسلامية، والشريعة الإسلامية والتصوف الإسلامي. بل إن كليتي الشريعة وأصول الدين في الجامعات الإسلامية جعلتا الاستشراق مادة أساسية من ضمن موادها المقررة.

ومن أشهر الذين تخصصوا في دراسة السيرة النبوية أمثال:

A. Guillaume, *Ibn Hisham's Sirat al-Nabi* (*The life of Muhammad*) (١٩٥٥); Frants Buhl, *Das Leben Muhammad*; W. Montgomery Watt, *Muhammad at Medina* (١٩٥٦); *Muhammad's Mecca: History in the Qur'an* (١٩٨٨); Martin Lings, *Muhammad: His Life Based on the Earliest Sources* (١٩٨٣);

[٣] Richard C. Martin, *Approaches to Islam in Religious Studies,* Arizona: The University of Tucson, ١٩٨٥, p.٢.

Maxime Rodinson, *Muhammed* (١٩٦١); Karen Amstrong, *Muhammad: A Bibliography of the Prophet* (١٩٩٢).[٤]

وفي دراسة الشريعة الإسلامية أمثال:

Joseph Schacht, *An Introduction to Islamic Law*; *The Origin of Muhammadan Jurisprudence*; Ignaz Goldziher, *Muhammadanische Studien*; N.J. Coulson, *Conflicts and Tension in Islamic Jurisprudence*; Davis S. Power, *Studies in Qur'an and Hadith: The Formation of the Islamic Law of Inheritance*.

ومن أشهر من ألف في التاريخ والحضارة الإسلامية:

H.A.R. Gibb, *Modern Trends in Islam*; *Mohammedanism: An Historical Survey*; Gustav E. von Grubenaum, *Medieval Islam: A Study of Cultural Orientation*; M.G.S. Hodgson, *The Venture of Islam: Conscience and History in World Civilization*; F. Rosenthal, *Das Fortleben der Antike in Islam*.

واشتهر في دراسة الحديث: G.H.A. Juynboll, *Muslim Tradition: Studies in Chronology, Provenance and Authorship of Early Hadith*.

واشتهر في دراسة علم الكلام، مثل:

Joseph van Ess, *Theologie und Gesellschaft*; A.J. Weinsinck, *The Muslim Creed* (١٩٣٢); Duncan Black McDonald, *Development of Muslim Theology*; *Jurisprudence and Constitutional Theory* (١٩٠٣); M.M. Anawati and Louis Gardet, *Introduction a la Theologie Musulmane* (١٩٤٨), Frank Richard, *The Metaphysics of Created Being According to Abd al-Humdhayl al-Allaf: Philosophical Study of Earliest kalam* (١٩٦٦); W. Montgomery Watt, *Free*

[٤] ذكر بعض مؤلفات المستشرقين هنا بدون ذكر سنة الإصدار، ومكانه، واسم الناشر وغيره لأن الهدف هنا للإشارة إلى وجود مجموعة يدرسون الإسلام والعربية على اسس علمية جادة ومستمرة، بداية من التاريخ، والأحكام الإسلامية، والعقيدة، والحديث، والأدب، واللغة حتى التصوف. وعلى نفس المنوال سوف نذكر كتب العلوم الإسلامية (الشريعة) مقابلة لكتب المستشرقين.

Will and Predestination in Early Islam (١٩٤٨); *The Formative Period of Islamic Theology and Philosophy* (١٩٦٢); *Islamic Thought* (١٩٧٣); Izutsu, *The Concept of Belief in Islamic Theology*; *A Semantic Analysis of Iman and Islam* (١٩٧٣).

وفي دراسة التصوف أهمهم:

Henry Cobin, *Avicenna and the Visionary Recital*; *Creative Imagination of the Sufism of Ibn Arabi*; Louis Massignon, *Essai sur les Origines du lexique technique de la Mystique Musulmane* (١٩٢٢); P.J. Zoetmulder, *Pantheisme en Monisme in de Javaanshe Soeloek Literature* (١٩٣٥); A.J. Arbery, *An Introduction to the History of Sufism* (١٩٤٣); Kingsley Birge, *The Bektashi Order of Dervishes* (١٩٧٣); J. Spencer Trimingham, *The Sufi Order in Islam* (١٩٧١); Richard Gramlich, *Die Schitischen Dervischorden Persiens* (١٩٦٥); A.J. Weinsinck, *Concordance et Indices de la Tradition Musulmane*; Philip K. Hitti, *A Tenth-Century Document of Arabic Literacy*; C. Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Literatur*; Snouck Hurgronje, *De Atjhehers* (١٨٩٤), *Nederland en de Islam* (١٩١١), Leonard Binder, *The Study of Middle East*; *Research and Scholarship in the Humanities and the Social Sciences*; Bernard Lewis, *Islam and West*; Nabia Abbott, *Studies in Arabic Literary Papyri* (١٩٦٧); Fuad Sezgin, *Geschichte des Arabischen Schifttums*; Merlin L. Swartz, *Studies on Islam* (١٩٨١).

وهناك مجلات دورية كوسيلة الاتصال بين العلماء والباحثين مثل: *The Muslim World, Studia Islamica, Islamic Law and Society, Bulletin of School of Oriental and African Studies (BSOAS), Journal of Asian Studies (JAS), Journal of Asian and African Studies (JAAS), Journal of the Indian Archipelago and East Asian (JIAEA), Journal of Southeast Asian History (JSEAH),*

Zietschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaff, Revue des Etudes Islamiques

وغيرها، وتتبعها الموسوعات، منها *Shorter Encyclopedia of Islam*، وكثير من مجموعات الدراسات الإسلامية.[٥]

هناك كثير من القراء يتساءلون: وبالأخص من الشرق الأوسط وجنوب آسيا، لماذا يدرس الإسلام من خلال كتب ومؤلفات علماء الغرب أو المستشرقين؟ دون التورط في مناقضة وجدال، هذا هو واقع تاريخى لتطور الفكرالإنساني، وهذا واقع العالم الأكاديمي الجديد في المجال الاجتماعي والانساني والديني الذي لا يمكن أن ننكره. وهذا أيضا هو ما يجب أن يواجهه العالم الإسلامي اليوم، لأن ظهور مثل هذه المؤلفات والدراسات الإسلامية من قبل الغربيين لا يكاد نجدها في نشأة وتطور العلوم الإسلامية من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري، أي حوالي ألف عام. إن دراسة الثقافات والأديان الأخرى التي تشجعها الجامعات، ومراكز الدراسات والأبحاث، وعشرات المجلات العلمية بالإضافة إلى الأكاديميين والباحثين تعتبر من الوقائع الجديدة في تاريخ الفكر الإنساني، والتي لم توجد من قبل العصر الحديث.[٦]

قبل ظهور الاتجاه العلمي الاستشراقي، فقد وجدت الدراسات الإسلامية قديما، لذا يفضل الباحث هنا إطلاقها بالدراسات الإسلامية *(Islamic Studies)*. وهذه الدراسة تتجه إلى دراسة معيارية، ودليل تعليمي، أخلاقي أو سلوكي أو عقيدي، باعتبارها مسلما بها. وهذا النوع من الاتجاه موجود قبل ظهور الاستشراق بقرون صنفها العلماء والفقهاء والمتصوفون والمفكرون المسلمون. ثم اشتهرت مؤلفاتهم بما يسمى العلوم الدينية (العلوم

---

[٥] Issa J. Boulluta (ed.), *An Anthology of Islamic Studies,* McGill Indonesia IAIN Development Project, Montreal, Quebec, Canada, ١٩٩٢; Howard M. Federspiel (ed.), *An Anthology of Islamic Stidies,* Volume ١١, Montreal, Quebec, Canada, ١٩٩٦.

[٦] رأى كارل أ. ستنبرينج: أن التطور والتجربة الأكاديمية لا يمكن لباحث الدراسات الإسلامية النظر إليها بعين واحدة لأن الدراسات الإسلامسة المعاصرة ااينما كانت مطلوبة لمد مواجها إلى العالم العلمي الجديد، لو أن التواصل العلمي، والتبادل العلمي والإعلامي تجري بشكل مفتوح ومستمر. كارل ستنبرينج: التواصل مع مؤلفات المستشرقين، مجلة علوم القرآن، وقم: ٢، العدد: LIII ١٩٩٢ م، ص ٢٤.وفجر الرحمن: "نظرات إلى الإسلام في الدراسات الإسلامية: مقالة مراجعة" *"Approaches to Islam in Religious Studies: Review Essay"* ريتشارد مرتن (إي دي) ص. ٦-١٩٥ .

الشرعية) التي تشتمل على علوم القرآن، والحديث وأصول الدين، وأصول الفقه، والفقه، وعلم الكلام، والتاريخ، واللغة.

وسنذكر فيما يلى المؤلفين ومؤلفاتهم من "داخل" المسلمين أنفسهم مقارنة بالمؤلفين والمؤلفات من قبل المستشرقين السابق ذكرها، وتجد أن تلك المؤلفات الكبيرة في العلوم الدينية لاتتوافر فيها شروط البعد الأكاديمي كمؤلفات الطرف "الآخر" من المستشرقين، فقد احتوت على البعد العلمي من خلال المنهج المتكامل والنظرة والأدوات النظرية والتصويرية باعتبارها وسائل للتحليل.[٧]

ومن أشهرهم محمد بن عمر الواقدي المغازي، ومحمد حسين ميكل: حياة محمد، وعباس محمود العقاد: عبقرية محمد ١٩٦٩، وأبو الحسن علي سيف الدين الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، وأبو حسين محمد بن علي البصري: المعتمد في أصول الفقه، والقاضي عبد الجبار: المغني، وأبو حيان التوحيدي: الهوامل والشوامل، والقبطي: تاريخ الحكماء، وابن عقيل: كتاب الجدل، وأبو الحسن العميري: الغعلام بمناقب الإسلام، والباقلاني: التمهيد، والشهرستاني: الملل والنحل، وابن خلدون: المقدمة، وابن رشد: تهافت التهافت، وابن أبي أسيبع: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، وابن الاثير: النهاية، وابن النديم: الفهرست، وأبو موسي الأشعري: مقالات الإسلاميين، وابن تيمية: الرد على المنطقين، ومجموع الرسائل الكبرى، وعلي بن محمد الجرجاني: التعريفات، وابن البركات الأنباري: لمع الأدلاء، وتاج الدين السبكي: طبقات الشافعية، والمقدسي: البدء والتاريخ، وابن عساكر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، والسمناني : البيان عن أصول الإيمان، وعبد القاهر البغدادي: أصول الدين، وابن خلف القومي: المقالات والفرق، والخياط: الانتصار، والسيوطي: جهد القريحة في تجريد النصيحة، وابن سينا: كتاب البرهان، وفخر الدين الرازي: المباحث المشرقية، ونهاية العقول، وابن حزم: كتاب التقريب، والإيجي: المواقف، وابن الجوزي: المنظم في تاريخ الملوك والأمم، والمكي: قوت القلوب، وأحمد بن علي بن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة

[٧] عن قضية "الداخل" و"الخارج" في الدراسات الإسلامية. انظر: Kim Knott, "Insider/outsider perspective"، في John R. Hinnells (ed.), *The Rutledge Companion to the Study of Religion*, London&New York, Rontledge, ٢٠٠٥، ص. ٢٤٣-٢٥٥.

في اعيان المعاني الضامنة، وابن ابي يعلي: طبقات الحنابلة، والإمام الغزالي: احياء علوم الدين، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، والمستصفى من علوم الأصول، والخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه، واحمد البيهقي: أحكام القرآن، والإمام البخاري: كتاب الجامع الصحيح، وابن الحجر الهيشمي: الفتاوى الكبرى الفقهية، وعز الدين بن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، وابن حزم: المحلى، وابو العباس شمس الدين خلكان: وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان.

إن الحديث عن العلاقة بين الاتجاهين شَيِّقٌ جدا أي بين مؤلفات "الداخل" *(Insider)* و"الأخر" *(outsider)*.واخترت عنوان هذه المقالة"الموجة الأخرى" لأن العلاقة بينهما لم تهدأ قط، كمياه البحر التي لا تزال تتحرك بل تتموج. وتحدث مدا وجزرا، وتطفو وتغوص، وتسد بعضها البعض، تؤثر وتتأثر، تنقد إحداهما الأخرى، تتصادمان حينا، وتتحاكمان دائما، وتتحركان بشكل ديناميكي.

إن وجود موجتين علميتين أو أكثر الآن في جميع الهيئات الاجتماعية والعلمية مع وجود الراعي والممول لهذه الأنشطة، تصبغ تطورا حيا للعلوم الإسلامية، سواء كانت في إندونيسيا أو في العالم الإسلامي. والقارئ يستطيع أن يتصور هذه الديناميكية في بيئات المعاهد التقليدية، وفي الجامعات والمعاهد الإسلامية الحكومية، ومجالس العلوم الشرعية، ومنظمات الدعوية الجامعية، وفي المقالات المنشورة في مختلف وسائل الإعلام، حاليا من خلال الإنترنت،[٨] وعالم إصدار المؤلفات الدينية. بالإضافة إلى ديناميكية الفكر الإسلامي التي ترعاها المنظمة الإجتماعية الدينية، أضف إلى ذلك إذا كانت هذه المراكز والمجالس العلمية تتعامل وتتفاعل بعضها مع البعض من خلال وسائل الطباعة، وللقاءات والحوارات العامة، ووسائل الإلكترونية، وغيرها.

ومن المعلوم أن إنتاج المؤلفات الفكرية وإعادته بجميع ديناميكياتها سواء كانت "داخلية" أو "أخرى" لها محرك اجتماعي وسياسي، وممول. أضف إلى ذلك، إن كل هذه الديناميكيات تخرج إلى الرأي العام، لاستجابة حدث معين سواء كان اجتماعيا، أم

[٨] الكتاب الذي يساعدنا الحصول على المعلومة عن سرعة تطور عالم الإنترنت، دالي ف: Dale F. Eicklelman and Anderson W. (eds.), *New Media in the Muslim World: The Emerging Public Sphere*، ٢٠٠٣، Second Edition, Bloomington, Indiana university Press,

اقتصاديا، أم ثقافيا، أم سياسيا، مثل: القانون التعليمي الوطني، والانتخابات المحلية، وفتاوى مجلس العلماء وقضية حركة أحمدية، وصراع امبون، وحادثة الحادي عشرمن سبتمبر ٢٠٠١، وعلاقة المسلم – المسيحي -، حملة أمريكا على أفغانستان والعراق، وقنبلة بالي، كاريكاتر النبي صلى الله عليه وسلم في جرائد الدنمارك، ومسألة الخلاعة والدعارة، وإلخ.....[٩]

وفي الواقع أن التجمعات اليومية في الميدان الإجتماعي، كل يحافظ على وجوده بكل قواه، دون الإهتمام بالآخر، وإن كنا نجد في بعض الأحيان تبادلا هادئا في التجارب بينهما *Exchange Experience* بصورة منطقية وأخلاقية، ولكن هذا لا يمنع من مزاحمة أحدهما على الآخر، والصراع على السيطرة "معنويا" حين يكون هناك تغيير في اعضاء المنظمات الاجتماعية الدينية.

وهذا الصراع وإن كان خفيا على السطح إلا أن موجة الحركة الداخلية شديدة الدهشة، لذا فإنه من المهم أن نعرف خريطة هذه التجمعات. وهذا مطلوب لتتبع تيار ديناميكية المعرفة من حيث قوته وعمقه، ضعفه وسطحيته، وتغيرالنموذج في المنهج، والنظرة، والنظرية التي استخدمها المستشرقون أو الدراسات الإسلامية *Islamic Studies* حتى يتسنى الحصول على الصورة الواضحة لمواقع كل الأنشطة العلمية، والأكاديميين، والباحثين في مجالات الإجتماعية الإسلامية، والسياسية وغيرها.

ب. نوعان من النظرات الاستشراقية: المعيارية والوصفية

يرى *Charles J. Adams*، أن هناك، على أقل التقدير، نوعي النظرة الاستشراقية في فهم الإسلام، كدين وثقافة شرقية وهو النظرة المعيارية والوصفية. والأول هو دراسة الدين والثقافة الأخرى بناء على دوافع محققيها والتزامهم القوي، أما الثاني فليس كذلك، فالأول يهدف بصورة واضحة وصريحة أو خفية من أجل تحويل الدين أو محاولة تغيير دين الأفراد أو المجموعات التى هي موضوع البحث. بينما الثاني فاالدافع فيه هو إشباع

[٩] بالنسبة لهيئات دينية في اندونيسيا: مجلس الترجيح والتجديد المحمدية، هيئة البحث المسائل الجمعية نهضة العلماء، مجلس الحساب لـ PERSIS ، قسم الفتاوى لمجلس العلماء الإندونيسية وغيرها. وهذه الهيئات توجد في الشرق الأوسط أيضا.

الرغبة في حب المعرفة *(Intellectual Curiosity)*، أو الكشف والتوضيح *(Clarity)* في فهم موضوع المدروس كما هو عليه.[١٠]

وبالنظر إلى تطور عالم الاستشراق المركب،[١١] يرى الباحث قبل كل شيء انه من الأفضل أن نرى الخريطة التي وضعها *Charles J. Adams* مع بعض تصورات التطور الأخير. من هنا سوف تظهر الجوانب السلبية للاستشراق التي يجب الحذر منها وتعديلها، كما سوف تظهر الجوانب الإيجابية[١٢] التي يمكن أن نوازنها فيما بعد باعتباره صديقا، أو شريكا للحوار لأجل نضج طريقة التفكير، والسلوك، والتدوين، وتنظيم استراتيجية لخلق ثقافة الأمة المتدينة في المستقبل.

وسوف نوضح أولا التطور في بيئة الداخل بنظرة معيارية أو دينية، ثم يتبعه توضيح تطور النظرة الوصفية مع كيفية اتجاه التطور الحديث في العصر الاستشراقي.

١) نظرة معيارية- دينية

النظرة المتبعة في دراسة الإسلام باعتباره موضوع الدراسة العلمية نظرة معيارية دينية، تتمثل في ثلاثة أوجه رئيسية:

١. نظرة تبشيرية تقليدية

---

[١٠] يجب التنبيه على أن الفصل كليا بينهما لا يمكن، لأن المظاهر الدينية بالجانب إلى أنها إنسانية مشحون بالأهمية التاريخية بالنسبة اللباحث عن جهة، وفيها عنصر الالتزام الشديد والعاطفة القوية من جهة أخرى. وهذا يحدث في الغرب ايضا، وخاصة في الدراسات الدينية، دائما يوجد الدوافع العلمية الوصفية تتخالف مع الظنون والالتزام العقيدي. لا سيما للثقافات والشعوب التي أنشطتها العلمية لم تعرف الدراسات الدينية. انظر: تشارلس ادم، التقالدي الإسلامية "Islamic Religion Tradisions"، ليونرد بيندر: دراسة الشرق الأوسط The Study of Middle East، بحث وثقافة في علم الإنسان والإجتماع. نورك، ويلاي ١٩٧٦، ص ٤٣.

[١١] وكيف لا يكون التعقيد في مدينة باريس (وكذلك مدن أخرى أوروبة وأمريكية وروسةا ويابانية) مجمع البحوث الديني يصل عدد الباحثين فيه أكثر ٢٥٠٠٠ باحثا، و٢٩٠٠ متخصصين في مجال العلم الجتماعي، والتمويل قدرة لا يقل عن ٥ ترليون دولار أمريكي سنويا. من المؤكد أن الدراسات الإسلامية إحدى الموصوعات الهامة بجانب الثقافة الأخرى. هذه المعلومات من محاضرة عامة في الدراسات العليا Sanata Dharma، ١٧ فبراير ٢٠٠٦ م، المحاضر الأستاذ الدكتور هشام داود العالم الإنساني عراقي الأصل، يعمل في بارس أكثر من ٢٥ سنة، في مجمع بحوث العلوم الإنسانية، The French National Center for Scientific Research (CNRS) Paris

[١٢] Richard King, *Postcolonial Orientalism and Religion: Theory, India and Mystic East*, London and New York, Runtledge, ١٩٩٨، ص. ٨٢-٩٥.

٢. نظرة إعتذارية دفاعية
٣. نظرة تعاطفية

أ) نظرة تبشيرية تقليدية

في القرن التاسع عشر مر العالم بتجارب مُرَّة، وقد بلغ العداء حد القمة بين الدول ومعتنقي الأديان، وهذا القرن هو مصدر قمة غلبة التأثير السياسي والإقتصادي والعسكري في الغرب وسائر بلدان آسيا وأفريقيا. في هذه المرحلة نشأت حركة التبشير من الكنائس النصرانية والطوائف الأخرى. وفي نفس الوقت الذي نشبت أظفار سياسة الإستعمار تطورت ايضا حركت التبشير التي أردفت الاستعمار للعمل على تحويل الدين. وكما يحتاج عملاء الاستعمارإلى اللغة المحلية احتاجت إليها ايضا حركة التبشير بهدف نشر الدين المسيحي.

هذا الالتقاء في الدوافع والأهداف والمشاركة بين الاستعمار والتبشير الانجيلي هو العمود الأساسي في نشأة العلوم الإسلامية والتي فيما بعد تعتبر علامة لأسوأ علاقة بين الدين المسيحي والإسلام، لأن الصورة السيئة دائما ما يلصقونها بالإسلام، والصورة الحسنة دائما للمسيحية.

وبمرور الأيام، أعاد الفكر الليبرالي البروتستاني النظر في برنامجها تحويل الدين *(Proselytization)* الذي يمارسه بعض أصحاب هذا الإتجاه وتغيير هذا الإتجاه إلى الخدمات الإنسانية، مثل توفير المعلمين، والأطباء، والإجتماعيين لمختلف الولايات التي تعاني من الفقر والتخلف. هذا التغيير في القرار وجدت استجابة قوية، ونقد من قبل الحكومات وأفراد العالم الإسلامي تجاه أنشطتهم السابقة. لكن التحرك نحو القرار المذكور لم يدم طويلا.

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت حركة البروتستانت الأصولي والتي تريد أن تبين للمسلمين خطأهم طوال هذه الفترة. ثم ظهرت مرة أخرى الموقف الجدالي، وتخطئة وتبادل الاتهامات مثلما حدث أول مرة في القرن التاسع عشر. ويمكننا القول بأن التعليم

الذي يحمل طابع التبسير التقليدي ما زال مستمرا حتى الآن في العالم الإسلامي،[١٣] ويدل على أن الجرح لم يندمل، بل ما زال ينزف. والحقيقة أن الجدل الإسلامي – المسيحي لم يبلغ القمة في القرن التاسع عشر فقط، ولكنه كان موجودا قبل الاستعمار بفترة طويلة[١٤] .

ب) نظرة اعتذارية دفاعية: رد فعل

وكرد فعل تجاه العديد من الاتهامات والمواقف السلبية من قبل المبشرين، لذا فإن الخاصية الأولى للفكر الإسلامي في القرن العشرين اصطبغت بالنظرة الاعتذارية والجدلية والعاطفية في الدراسات والمؤلفات الإسلامية وخاصة في فكر أبناء بلاد الهند ومؤخرا في الشرق الأوسط.

في هذا العصر ظهرت مؤلفات كثيرة تحمل طابع الدفاع. في الواقع إن مثل هذا مطلوب، وذلك لإعادة تنصيب القيم التقليدية الأساسية، وللذود عن هوية الثقافة والتراث التقليدي المحفوظ منذ قرون. والموقف الاعتذاري يعتبر وسيلة مؤثرة وفعالة عاطفيا لسد الاحتياجات المؤقتة، وعلى المدى الطويل، وأيضا لإعادة الثقة بالنفس للفرد والجماعة، مع إظهار القدرات والإمكانياتن في الدخول إلى العصر الحديث المستنير.١٥

والموضوعات الأساسية المقدمة في الموضوعات المتعلقة بإظهار العقلية الإسلامية (عصر الخلافة والعصر العباسي) في التقدم، والنظرة الليبرالية إلى إسهامات تاريخ الإسلام في العصر الذهبي للأمة الإسلامية والتي من خلال كل ذلك يمكن مساواتها بالعلم والمعرفة.

وأقرب مثال ذلك، الكتاب الذي ألفه سيد عامر علي *The Spirit of Islam* (روح الإسلام). وبالطبع نجد في هذه النظرة الاعتذارية جانبا إيجابيا كما نجد جانبا سلبيا، أما

---

١٣ Charles J. Adams، ص. ٣٦.

١٤ انظر: كارل ستنبرنج *Dutch Colonialism an Indonesian Islam: Contacts and Conflicts* ١٩٩٣ ,Amsterdam-Atlanta, Rodopi, *١٥٠-١٩٥٠* وقد ترجم هذا الكتاب غلى الإندونيسية *Kawan dalam Pertikaian; Kaum Kolonial Belanda dan Islam di Indonesia* (١٥٩٦-١٩٤٢), Bandung, Mizan, ١٩٩٥.

١٥ قارن، H. A. R. Gibb ، *Islam in Modern History* ، ص. ١١٩-١٢٤.

الجانب الإيجابي فهو وجود عوامل للحث والتحريض للجيل الجديد لاستعادة الشخصية الإسلامية، والإثارة للعزة والفخر بالتراث.

ومن أوضح نتائج رد فعل هذه الدعوة هو إعادة اكتشاف بعض مجالات التاريخ الإسلامي والإنجازات الزاهرة القديمة التي نسيها المسلمون أنفسهم. والحقيقة أن حركة البحث والتأليف، تتلقى تشجيعا كبيرا؛ لأنها تقوي مستوى المعرفة لدى المسلمين حول تراثهم الثقافي والفكري والديني العريق.

فمؤلف هارون ناسوتون الذي عنوانه *ISLAM RASIONAL* (الإسلام العقلي) وإن لم يكن كله صحيحا، فهو نوع من رد الفعل المذكور سابقا، وكذلك الرسائل والأبحاث في الجامعات الإسلامية الحكومية ملهمة "رد الفعل" للثقافة العلمية، وهي مبعث فخر واعتزاز لخريجي هذه الجامعات.[١٦]

ولكن إذا نظرنا من وجهة النظر الثقافي الأكاديمي *(scholarship)* فإن جذور هذه الحركة الفكرية الاعتذارية يشبه إلى حد ما جذور حركة التبشير المسيحي أو الدعوة الإسلامية. بمعنى آخر إظهار الجوانب التي تبعث على السرور في التراث الإسلامي تميل إلى الإساءة إلى الإسلآم، فإن طائفة المعتذرين المسلمين تميل إلى التحسين. مثل هذا الشرح الذي قلناه فإنه يعتبر مخالفا للمبادئ والقيم الأكاديمية، وهو يشبه الانحرافات التي ارتكبتها حركة التبشير المسيحي تجاه الإسلام. وكذلك وقعت المؤلفات الاعتذارية الإسلامية في نفس الخطا حين قامت بتلوية المعلومات وانتقائها، والإفراط في استخدامها والانتفاع بها والاعتزاز بالأمجاد السابقة مما جعل المقارنة غير منضبطة. وباختصار، إن مؤلفات الدراسات الدينية أو الدراسات الإسلامية التي تحمل طابع الاعتذار يظهر فيها الطابع الجدلى وليس المنهج الأكاديمي.

وبذلك يمكن القول أن بعض الفئات وخاصة الأكاديميين والباحثين للمؤلفات والدراسات الاعتذارية لم تبحث عن المسائل المعقدة والنزاعات التي تحدث في التحدي الاجتماعي الديني في العصر الحاضر.

---

[١٦] لمعرفة أنواع البحوث والرسائل انظر: خبر الدين ناسيتيون، سوسيكنان أزهري، مقوم، عالم روسوانتورو، اتجاهات الدراسات الإسلامية في إندونيسيا: دراسة حول رسائل الدكتورة من سنة ١٩٨٣-٢٠٠١ جامعة سونان كليجاكا يوكياكرتا ٢٠٠١.

جـ. نظرة تعاطفية *(Irenic)*

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ظهرت في البيئة الدينية أو الجامعية العربية حركة تستهدف إلى احترام تدين المجتمع الإسلامي أي ظهر موقف جديد إزاء الإسلام، ومضمون هذه الحركة هو فهم واحترام قيم المسلمين، وتقويم إيجابي تجاه أخطاء المسلمين. وهذه المحاولة بمثابة علاج حول سوء الظن وعداء الغرب النصراني للإسلام ومعتنقيه وفي نفس الوقت هناك محاولة للحوار مع المسلمين وإقامة جسر لإيجاد اهتمام متبادل بين اللأديان والبلدان.

يعتبر *Bishop Kenneth Crag* من مروجي جيل التعاطف في العلاقة بين المسيحية والإسلام ولقد قام كراك بمحاولات عديدة للعالم الغربي المسيحي لإظهار الجوانب الحسنة والقيم الدينية الإسلامية، وللتعريف بواجبات المسيحيين تجاه قبول المسلمين وحقيقة وجودهم الإسلامي. وكما أن هناك قلقا من جانب المسلمين والاهتمام بمواجهة المسائل الأصولية الدينية، نجد أيضا عند المسيحيين، إلا أن المسلمين يستخدمون لغة دينهم التي تختلف مع النظرة المستخدمة لدى المسيحيين.

ولكن يرى *Charles Adams* أن الطابع الإنجيلي موجود عند *Cragg* وذلك حين قال إنه يجب أن يكون المسلمون مسيحيين، وحين ذلك فقط يصبحون مسلمين بكامل المعنى.[١٧]

٢) نظرة وصفية

حينما وجد الغرب أن النظرات الثلاثة المصطبغة بالمعيار الديني تجاه الإسلام وبالعكس، أي من المسلمين تجاه المسيحيين، لم تكن مقنعة، وجعل معتنقي الأديان وحامي ومستخدمي الثقافات الأخرى موضوعا أساسيا يجب السيطرة عليهم، واحتواءهم والإساءة إليهم، دون أن يكون هناك أي نوع من القبول، وهذا شيء لا يليق بالنسبة

[١٧] المصدر السابق، ص. ٣٩.

للمعرفة الدينية والإنسانية. فالدراسات الإسلامية المعيارية قد جرحت شعور معتنقيه أكثر مما يبنى العلاقات الطيبة معهم. هذه الأنشطة العلمية –سريعا- أو بطيئا- يجب تغييره نحو معاملة أكثر عدلا وأخلاقيا ودون المساس بالمشاعر، والإساءة في أي صورة كانت[١٨]، سواء من الجانب الغربي المسيحي أو الجانب الشرقي الإسلامي أو غيرهما.

ولقد ظهر على مدى تاريخ الاستشراق الطويل الوعي والحجة إلى تحسين الوضعي، والطبع. وهذه الأنشطة الجديدة التي اعتبرها *Charles Adams* والتي استلهمه من *Wilfred Cantwell Smith* [١٩]. يسمى الأنشطة العلمية الوصفية. وهذه الأنشطة تحاول شرح ظواهر تدين الإنسانية بشكل عادل كما هو موجود، سواء اليهودية، أو المسيحية، والهندوسية، والبوذية والإسلامية وغيرها من الأديان. هناك ثلاثة نماذج من نظرات الأنشطة العلمية الوصفية تجاه التدين الإسلامي، وهي: نظرة فقه النص – التاريخي، والاجتماعي- العلوم، وعلم الظاهرات.

وفي الحقيقة أننا لانفهم مؤلفات المستشرقين إذا لم نفهم أولا خريطة وتاريخ تطور سلسلة علمية للاستشراق نفسه. لأن النظرة المعيارية – الدينية تختلف عن النظرة الوصفية، التى لها ثلاثة أنواع أيضا. وللعلوم – أعني به غير المتخصصين فيه – فإن جميع الأنواع الموجودة يعتبرون واحدة. فالتعميم في أي مجال شيء لا يمكن وخاصة في المجال الديني.

أ) نظرة فيلولوجية – تاريخية

هي النظرة الأكثر إنتاجا للمؤلفات الإسلامية بالنسبة للمستشرقين وذلك لأنه مزود باللغة التي يستعملها المسلمون، بالإضافة إلى تمكنه من منهج فيلولوجى، فعلماء

---

[١٨]. أثناء كتابة هذه المقالة تعج العالم الإسلامي بالمظاهرات بسبب الكاريكاتور التي صدرت في صحف الدينماركية حول النبي صلى الله عليه وسلم، والتي نشرت فيما بعد في البلدان الأوربية.

[١٩] Wilfred Cantwell Smith يعرق بين الجانب التقليدي والاعتقادات في وجود التنوع الإنسان. الجانب التقليدي يشمل الأمور الخارجية، الملاحظة الاجتماعية، المجالات التاريخية من تنوع التجمعات الإنسانية؛ بينما الجانب الاعتقادي يشمل الأمور الداخلية اعلبديهي التسامي، والجوانب الخاصة من التدوين. أنظر: Wilfred Cantwell Smith ، *The Meaning and End of Religion*, New York, Mac Millan, ١٩٦٣.

المستشرقين *(scholar)* -- فرّق بين هؤلاء وبين الإنجيليين*(evangelist)* – قد وقفوا أنفسهم على قراءة وفهم المخطوطات، والنصوص التي يسهل الحصول عليها في التراث الإسلامي.[٢٠]

فالكتب والمؤلفات التي كتبت باللغة الأوروبية: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والهولندية المذكورة سابقا ما هي إلا مؤلفات الجيل الجديد من العلماء الوصفيين من خلال نظرة فيلولوجية – تاريخية. وهذه المؤلفات لا يشترط التعامل المباشر بالثقافة الإسلامية، ولكنه يمكن الحصول عليها، وتجميعها من خلال حصيلة جانبية، والفائدة الإضافية التي ترجي من عمل العلماء الآخرين، مثل علم مقارنة اللغات السامية، أو دراسة الإنجيل، أو مادة دراسة اللغة العبرية. وخاصة أن اللغة العربية هو من فصيلة اللغة السامية الأكثر انتشارا وتطورا واستمرارا، قبل الإسلام حتى الآن، وأكثر إنتاجا للمؤلفات.

إن الدراسة الفيلولوجية أنتجت الكثير من المؤلفات التي أشارت إلى جميع جوانب الحياة الفكرية والأخلاقية بالنسبة للمسلمين. ومعظم هذه المؤلفات تعتبر مصادر مهمة ليس للغربيين فقط بل أسهمت بصورة حيوية في العالم الإسلامي نفسه، بل إن المجددين المسلمين والسياسيين وغيرهم يستفيدون مباشرة لمصلحة الداخل الخاصة بالنشيطين المسلمين أنفسهم. وكل هذا أصبح عاملا مهما لعملية إعادة الترتيب للإسلام في الوقت الحالي.

والوثائق الأكثر غنى بالمعلومات بالنسبة للدراسات الإسلامية الكلاسيكية هي التاريخ، وأصول الدين، والشريعة والتصوف. بالإضافة إلى المواد المتوفرة في جميع المكتبات العلمية الغربية أو الشرقية، المترجمة إلى اللغات الأوروبية أو التي تدرس في المناطق الإسلامية، بل إن معظم الوثائق الموجودة في الشرق الأوسط لم يترجم بعد.

ب) نظرة العلوم الاجتماعية

[٢٠] لإعطاء الصورة عن عكوف المستشرقين في البحث والدراسة، لطلبة الماجيسترين الباحث يرجع إلى يوسف فن إيس، "The Logical Structure of Islamic Theology".

بعد النظر عن الخدمات التي قدمها العلماء الباحثون في الإسلام والمبشرين والذين يستخدمون النظرة الفيلولوجية، إلا أن هناك ملاحظات مهمة يجب تنبيههم عليها، وبالأخص كبار العلماء الاجتماعيين الذين ظهروا فيما بعد، في النصف الثاني من القرن العشرين.

أولا: أن العلماء الذين استخدموا النظرة الفيلولوجية، تركزت اهتماماتهم حول النص فقط. يريدون أن يفهموا نظرة العالم، وكيفية الحصول على ثقة المسلمين، من خلال النص فقط، دون أن يكون لهم أبحاث مباشرة لحياة المسلمين الواقعية، وإنما فقط من خلال عدسة مكبرة أو عدسة النص. باعتبار أن هذه النصوص –كتب التراث- هي الوسائل التي تحفظ تقاليد الفكر الإسلامي الكلاسيكي. فالبحث منصب على "مؤلفات" المسلمين وليس على حياة المسلمين.

لا نجادل على أنه يمكن لأحد أن يفهم مجتمعا معينا من خلال دراسة حصيلة ما ينتجونها من النصوص، لكن ليس للعقلية البسيطة التي تساوي النصوص بالمجتمع، والحياة الاجتماعية الدينية التي تصورها النصوص من جهة، بديناميكية الحياة الاجتماعية الدينية (مفهوم النص) التي تنتج النصوص المذكورة من جهة أخرى. إن الميل إلى المساواة العشوائية بين النصوص وفهم النصوص، بين الأفكار والوقائع لهو غلط عام يقع فيه المستشرقون الذين يستخدمون المثالية في النظرة الفيلولوجية التاريخية الكلاسيكية.[٢١]

ثانيا: إن الباحثين في الدراسات الإسلامية المستخدمين لنظرة فيلولوجية تاريخية قد وقعوا في خطأ أخر له علاقة وثيقة بالخطأ الأول. وهو أنهم استوثقوا زيادة عن اللازم بـ"اللغة" (المستخدمة في كتابة النصوص القديمة وليست اللغة الدارجة) باعتبارها وسيلة للتعرف على المجتمع، بالإضافة إلى اهتمامهم الزائد بالأساليب اللغوية (النحو والصرف

[٢١] يصور محمد أركون كيفية عمل فقه النص – التاريخي الاستشراقي، مثل: مجرد ترجمة مؤلفات التراث العربي إلى اللغات الأوروبي الحديثة (الألمانيةن والفرنسية، الهولندية، الإنجليزية)ز وللحصول على درجة الموضوعيةن هم يعملون كـ "مرشد متحف الصابر" دون الاهتمام بالصعوبات المتعلقة بالنصوص والتي لها علاقة بالتجمعات الاجتماعية –السياسية-الاقتصادية والفكرية والتي تعتبر خلفية النص. انظر: محمد أركون: *Nalar Islami dan Nalar Modern: Berbagai Tantangn dan Jalan Baru* ترجنة راهايو إس، هداية، جاكرتا، ١١٣ .INIS, ١٩٩٤, h.

والبديع والبلاغة والإيجاز). النقص الأساسي الذي نجده الآن هو أنهم يعتبرون أن لغة النص وثيقة يمكن الاستيضاح منها عن كل شيء، أو يعتبرونها مصدرا أساسيا لفهم المجتمع الذي يأتي منه النص. ونسوا عقدة العلاقة بين النص واللغة المذكورة في واقع التاريخ، والمجتمع، والثقافة والاقتصاد والبيئة التي ليست من السهل مساواتها وتعميمها بين مكان وآخر.[٢٢]

أثر النقد السابق على البنية الأساسية العلمية التي تستخدم منهج الفلولوجية التاريخية. لا نقول بترك النمط التفكيري والطريقة القديمة، لأن ذلك لا يمكن أو سريعا – سوف يحدث التغير المثالي *paradigm shift*، وذلك إذا استخدم مصطلح *Thomas S. Khun*.[٢٣] إذا كانت مثالية الفلولوجية التاريخية تعتبر أن دراسة المجتمع الديني لا سيما المجتمع الإسلامي تشبه دراسة النص، فإن المثالية الجديدة التي سيحملها علماء الاجتماع تعتبر أن دراسة الاجتماع الدينى والاجتماع الإسلامى تشبه دراسة العلوم والمعرفة *(science)*. إن متخصصي نظرة العلوم الاجتماعية يعتقدون بل يهتمون أن الدراسات الإسلامية يجب استخدام مناهج العلم والمعرفة، مثلما فهمه علماء الاجتماع، وليس من خلال اللغة كما يعتقد رجال العلوم الأدبية. هذه الموجة الجديدة التي حركها علماء الاجتماع، ومن بينهم علماء السياسة ظهرت في المقدمة بعد الحرب العالمية الثانية. وطريقتها لتحصيل الحقائق، وتحليلها أيضا تغير. ظهرت واشتهرت مصطلحات جديدة مثل: الموضوعية *(objectivity)*، وقابل للعد *(quantifiable)*، وجدير بالملاحظة *(observable)*، وقابل للقياس *(measurable)*، والقوانين العالمية للسلوك *(universal laws of behavior)*، والبناء النظري *(theoretical construction)*، و*explanation*.[٢٤]

---

[٢٢] قارن يشرح نصر حامد أبو زيد نقل الخطاب الديني، القاهرة، سينا للنشر، ١٩٩٤، ص. ١٩٨.

[٢٣] Thomas S. Khun, *The Structure of Scientific Revolution*, Chicago, University of Chicago Press, ١٩٧٠.

[٢٤] Charles J. Adams، ص. ٤٥.

وهم يعتقدون أن المجتمع كما يتخيله تالكوت بيرسون عبارة عن النظام ووظيفته توحيد العناصر المتفرقة في هذا المجتمع العام، أي المجتمع الذي يتطور تاريخيا تطورا عظيما، وهو ما يسمى التحديث *(Modernization)*.

جـ) نظرة الظواهر الدينية

هذا هو النوع الأخير من نظرات الوصفية *descriptive* تجاه واقعية التدين الإنساني. وهذه الظواهر الدينية للإجابة على ظواهر شاذة منحرفة غريبة ملتصقة جوهريا في نظرة المعياري – الديني، ونظرة الوصفي المذكورة.

إن دراسة الأديان أو بحثها فريدة خاصة ومعقدة. ثم إن منهج دراسة الأديان لا يمكن تسويتها بمناهج الدراسات الاجتماعية والإنسانية والأدب والطبيعية، كما أنه حق يحمل محتوى وقيما *(content and value laden)*، وكذلك لا يمكن التخلي عن النص وتفاسيره من قبل الأفراد والجماعة عندما تفسر الكتب المقدسة، والنصوص الدينية *(Hermeneutic)*، والترتيب المنظم للتعاليم، والمذاهب الدينية *(Philosophy, Theology)*، والتعامل بين الفرق والمذاهب في الحياة الاجتماعية *(Sociology)*، القوانين والمقررات الاجتماعية *(Ethic and Law)*) النظام الديني، والنظام العائلي والنسب، والزواج، والإرث التراث التاريخي، ووسائل العبادات الدينية *(Archeology)* الوسائل والمؤلفات الفنية *(Arts)* البعد التجريبي الوجداني، والعاطفة الدينية *(Psychology)*، الهيئات الدينية، التربية، الاقتصاد، والخدمات الاجتماعية *(Institution)* تقسيم السلطة على الأسس الدينية، المنظمات الاجتماعية الدينية *(Politic)* ورفاهية أفراد المجتمع *(Economy)* العمل الاجتماعي الديني *(Philanthropy)*،[٢٥] لذا فإن الدراسات الدينية يجب أن تكون متعددة التخصصات، وعالمية التخصصات أيضا، فلا يكفي الاعتماد على النص فقط.

---

[٢٥] Ninian Smart, *Dimensions of the Sacred: An Anatomy of the World's Beliefs,* London:Fontana Press, ١٩٩٧.

انظر: Dale Canon، John R. Hinne Lls (ed.) : The Routledge Companion to the Study of Six Ways of Being Religious, Religion, London and New York, Rountledge, ٢٠٠٥.

فالوحدة التخصصية لا يثمر إلا ثمارا جزئيا (*mypic*)، كل ذلك ينظر إليها من خلال المنهج (*the way to obtain data*) للحصول على المفاهيم المتكاملة عن الظاهرة الدينية.

اما من خلال النظارات *approaches (the way to think)* فالتحدي فيها أكثر صعوبة. فلقد قدمنا سابقا أن النظرة المعيارية الدينية بأنواعها الثلاثة (المعياري الديني، الاعتذاري، إيرينك) لا تكفي، بل لا يليق استخدامها لدراسة الدين نفسه، وذلك لكثرة وتعدد مفاهيم الفرق الدينية، مع ادعاءاتها بأنها الصحيحة، مثل ادعات الشيعة أمام ادعاءات الغالبية من أهل السنة أمام الأقلية الأحمدية. ففي داخل أهل السنة نفسه الفرق المتجمعة تحت شعار "المنظمات" الإجتماعية الدينية، مثل جماعة الاتحاد الإسلامي، والمحمدية، ونهضة العلماء، والخيرات وعشرات أخرى غيرها. بالإضافة إلى الجماعات الأخرى مثل: حركة الناصر الديني، مجلس المجاهدين الإندونيسي، حزب التحرير وغيرها.

فإن الصعوبات سوف تزداد لو استخدمت النظرة المعيارية الدينية والإعتذارية، لدراسة الإعتقاديات، أو دين الآخر، وفي انتشار أفكارها الدينية دون الاهتمام بمشاعر الآخرين. والنتيجة الطبيعية لذلك كله، هو انطباع عدم الاهتمام باالآخر، والعداء، والإستحقار والإساءة إلى الآخرين الذين يخالفهم في الدين. بل قد يتصور أن ذلك هو ما يجب فعله على الآخرين، أو ما يسمى تحت شعار "حرية التعبير".[٢٦] لذا، فإن ريتشارد مارتن يرى أن الدوافع "الذاتية" الدينية *(Fideistic Subjectivism)* هي الظاهرة المنتشرة بين معتنقي الأديان حاليا في أي مكان كانوا، وليس في الشرق والغرب فقط.

إذا كان هذا واقع الحياة الدينية في طبقات الدنيا، ولا سيما أئمتهم لدى التابعين. فالسؤال الذي يطرحه دارس الأديان: هل هناك نظرة موضوعية في دراسة الأديان..؟[٢٧]

---

[٢٦] Charles J. Adams, ص. ٥١.
آخر مثال على ذلك: نشر كاريكاتور النبي صلى الله عليه وسلم في الجرائد الغربية التي هزت العالم الإسلامي.

[٢٧] لفظ تطلق على "الموسوعية" يصور أن الشعور والدافع "الموضوعية" صارت ملتهبا، ومشحونا، بالعواطف الملتهبة، لأجل عواطف دينية " الإلهية" المتعمدة. انظر: Richard C. Martin، ص. ٢.

وهذا هو نفس السؤال الذي يظهر عند علوم الاجتماع المتأخرة تجاه نظرة فيلولوجية – تاريخية.

ثم ظهرت الظواهر الدينية تحاول الإجابة على التساؤلات والشكاوى الأكاديمية السابقة. هناك ثلاثة افتراضات منهجية استخدمتها الظواهر الدينية لفهم سائر الظواهر الدينية لبني إنسان.

(١) الظواهر الدينية تركز على نوع النظرة المنفتحة *(open, transparent, accountable)*، والنظرة الإحساسية *(empathetic)*.

(٢) للقيام بذلك، يجب على الباحث الديني حينما يتعامل مع معتنقي الأديان الأخرى أن يمتلك القدرة على ضبط النفس والتمهل في إصدار القرار والحكم على الآخر ، وترك الظن العقيدي الذي يحد من حركته.

(٣) و بناء هذا الموقف الأساسي مطلوب، للبحث عن حقيقة وماهية ما وراء ظاهر الحياة الدينية الجزئية *(eidetic vision; to grasp the essence that lay behind religious phenomena)*.

(٤) من يقينيات نظرة الظواهر الدينية أن الدين بمعناه الشامل ليس من إنتاج السلسلة التاريخية الطويلة المتطورة، ولكن الدين جزء جوهري ينفصل عن حياة الإنسان أينما كان.

(٥) تختلف النظرة الظواهرية عن النظرة الفيلولوجية التاريخية، وهي أقرب إلى نوع النظرة الاجتماعية. وبمساعدة علم الإنسان الاجتماعي يزود باحث الظواهر الدينية لتصنيف سائر سلوك دينية بني الإنسان، للحصول على النمط المشترك الشامل من سائر بني الإنسان المختلف جزئيا.[٢٨]

جـ. الدراسات الإسلامية المعاصرة

مثل "الموجة" فإن عالم الدراسات الإسلامية المعاصرة يدخل الموجة الثالثة.

---

[٢٨] Richard C. Martin، ص. ٤و٧.

- الموجة الأولى: هي عصر تكوين جوهر العلوم الدينية بأيدي المؤلفين (الداخل). ومعظمها الفت باللغة العربية، وبعض اللغة الأخرى مثل: الفاريسي، الأوردو، التركي، الإندونيسية وغيرها.
- الموجة الثانية: هي ظهور حركة الاستشراق أو باصطلاح أفضل- الدراسات الإسلامية بأيدي المؤلفين (الخارج) باللغات الأوروبية مثل: الهولندية، الفرنسية، الألمانية، الإنجلزية.
- الموجة الثالثة: حركة علوم الدراسات الإسلامية المعاصرة التي ظهرت في أواخر القرن العشرين. وهذا الجيل الجديد يعرف العلوم الشرعية، بجانب استعابة باالعلوم الاجتماعية والإنسانية.

كل هذه الموجات تتحرك في دائرة حركتها بمؤيديها ومموليها. وتتنتج إنتاجا علميا مستمرا في سائر أنشطة العلوم، ولكن حين تواجه الأحداث الجماهرية على المستوى المحلي أو الوطني أو العالمي، تلتقي هذه الموجات الثلاث، وتتحاور، وتتحالف، تؤثر وتتأثر، تجادل، وتخالف، وتختلف في وجهات النظر والتفسير، وفقه الواقع في الصراعات.

والمراد باالموجة الثالثة هي ظهور علماء الإجتماع من المسلمين المتمكنين من العلوم الإسلامية (القرآن، والحديث، والفقه، والتوحيد)، والعلوم الإجتماعية (علم الإنسان، وعلم الاجتماع، والسياسة) والعلوم الإنسانية (الفلسفة، اللغة، وعلم اللغة)، معظمهم خريجو الجامعات العالمية، بدأ من جامعة الأزهر، والقاهرة، والشوربون، وأوكسفورد، وتشيكاجو، وأم القرى، وجامعة الملك عبد العزيز، وغيرها. وبعضهم من أساتذات هذه الجامعات. فالتقاء هذه العلوم الثلاثة هي ما يسميه الباحث هنا بالدراسات الإسلامية المعاصرة.

ومن اشهر هؤلاء نذكر على سبيل المثال: محمد أركون، وحسن حنفي، ونصر حامد أبو زيد، ومحمد عابد الجابري، وعطيم ننجي، إبراهيم موسى، ومحمد سحرور، ونور خالص مجيد، وكمال حسن، وعبد الكريم سوروس، وأوميت صافي، وعبد الله النعيم، وميرزبا الحسيني، وأمينة ودود، وفريد إسحاق، وعبد القادر طيبب، وأزيوماردي

أزرى، وعبد الله سعيد، واسماعيل الفاروقي، ونجيب العطاس، وخالد أبو الفضل، وعبد الرحمن واحد، وغيرهم.

ومعظم مؤلفات هؤلاء المفكرين والكتاب والباحثين من الجيل الثالث ترجمت إلى اللغات المستخدمة من العالم الإسلامي، ومن بينها اللغة الإندونيسية، وانتشارها في العالم الإسلامي والغربي بصورة هائلة:وخاصة في الجامعات ومعاهد البحوث التي أقامتها المنظمات الاجتماعية الدينية.

وبظهور الجيل الجديد والموجة الثالثة، فالحديث عن الإستشراق يصبح أكثر تعقيدا، ولا يكفي كما حدده إدوارد سعيد. كما أنه لا ينفع مجرد الاختلاف عن "الغرب" و"الشرق" بين "الداخل" و"الخارج". وفيها دائرة (في الوسيط) يصعب وصفها أو اطلاقها بمصطلح غير مقبول، مثل: التصادم بين الحضارات *(The Class of Civilization)*.

وفي الحقيقة أن الدراسات الإسلامية هي وحركة علمية مشروطة بعدة شروط أكاديمية، وبحثية، والإتصال من خلال المجلات العلمية والنضج في العواطف واستيعاب اللغات الأجنبية وغيرها من الشروط. هذه الاختراعات العلمية مهمة جدا لتطوير العالم الأكاديمي ، ولكن لها نتيجة هامة اجتماعية كانت أو سياسية، مثل مؤلفات خالد أبو الفضل *Speaking in God's Name*. وبالتمكن من علوم الدين (التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام) بالإضافة إلى علم الاجتماع –الإنسان، ونظرة التفسير الجديد، فإن أصدائها سوف تكون قوية في تطبيق الثقافة الإسلامية سواء كان في الشرق الاوسط والبلاد الإسلامية وكذلك الغرب.

وفي عصر الانفتاح الآن، فإن الجو العلمي المهيأ، يحتاج إلى زيادة. فالظواهر الدينية تحاول دمج المتطلبات والإحتياجات والإلتزامات، والتكريسات، والحماسة لإثبات الشخصية الجزئية الدينية، ووضع كل شيء في مكانه، ودمج متطلبات البعد الشمولي، والنمط الاشتراكي الذي ينسج التقاليد الدينية المختلفة عند بني الإنسان. وهذا الدمج هو الطريق للحصول على حضارة عالمية مستقبلة بشكل أفضل.

وفي الحقيقة الموجة الثالثة والدراسات الإسلامية – دون القصد من ترك تراث الجيل الأول والثاني مع الملاحظة النقدية المستمرة- تهدف إلى إعداد الحضارة الإنسانية للدخول إلى مرحلة أكثر تعقيدا في هذا العصر، حيث أن الجدر الجغرافية بين "الغرب" و"الشرق" فيه شيء من الغموض بسب تقدم تكنولوجيا الإعلام وسائر المواصلات تقدما هائلا. إن اعتبار الأمة ومعتنقي الدين الآخر موضوع الدراسة فحسب، كما فعل الجيل الثاني، يجب تغييره إلى ما هو أكثر تعاطفا ومشاركة.